العـــرش

الحمد لله ذي العرش المجيد، والبأس الشديد، الفعال لما يريد، والصلاة والسلام على النبي الرشيد، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بالإحسان والقول السديد.. أما بعد:

فإن العرش المجيد لا يقدر قـدره ولا يعلم عظمتـه إلا اللـه تعـالى، وقـد بُين لنـا شـيء من ذلـك في النصـوص الشـرعية ليكـون في النفوس تعظيم لله، وتقدير لجنابه، وزيادة في الإيمـان بـه، ورغبـة فيما عنده، فإنه القوي الكبير العزيـز الغـني، وغـيره الفقـراء إليـه المحتـاجون إلى رحمتـه وفضـله في كـل لحظة.. وقـد بين اللـه لنـا ورسوله شيئاً عن عظمة العرش وما خفي كان أعظم. قـال تعـالى: {ذُو الْعَـرْشِ الْمَجِيـدُ*فَعَّالٌ لِّمَـا يُرِيـدُ} (15-16)ـ سـورة الـبروج، وقـال تعالى: {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ} (15)ـ غـافر، وبين اللـه تعـالى أنـه استوى على العرش استواء يليق بجلالـه وعظمتـه لا يجـوز لأحـد أن يسأل عن كيفية الاستواء لأن هـذا تـدخُّل في علم الغيب، ولا يجـوز مشابهة الله بشيء من خلقه، قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللّـهُ الَّذِي خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِـتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْـتَوَى عَلَى الْعَـرْشِ..} (54) سـورة الأعـراف، وورد الاسـتواء بهـذه اللفظـة (ثم اسـتوى على العرش) في آيات كثيرة، وهو استواء يليق بجلالـه وعظمتـه لا يجـوز تحريفه ولا تأويله، بـل نكـل علمـه ومعرفتـه إلى اللـه، لكننـا نـؤمن بظاهر الآية كما هي من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف ولا تأويل، وقد حرف أهل البـدع هـذه اللفظـة (اسـتوى) كمـا حـرف اليهـود قـول اللـه (حطة) فقـالوا: (حبة) وأهـل البـدع المخالفون للسنة قالوا في قوله تعالى: (استوى) اسـتولى!! فكأنـه - تعالى وتقدس عن قولهم- نازعه أحـد من المخلـوقين على العـرش حتى استولى عليه هو أخيراً وقهر عـدوه باسـتيلائه على العـرش!..، وهذا لا يقوله مؤمن.

وصف عرشه سبحانه بأنه كريم وعظيم، فقال تعالى: {فَتَعَـالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيم} (116)ـ سورة المؤمنون، وقـال: {اللَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ رَبُّ الْعَـرْشِ الْعَظِيمِ} (26)ـ سـورة النمـل، وللعرش حملة من الملائكـة يحملونـه ويسـبحون اللـه في كـل حين ويدعون للمؤمنين والمؤمنات بالمغفرة والرحمة، كمـا قـال تعـالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِـهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَـاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} (7)ـ سورة غافر، ثم بين سبحانه عدد الذين يحملون العرش فقال: {..وَيَحْمِـلُ عَـرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَـةٌ} (17)ـ سـورة الحاقـة، والملائكـة الكـرام تحـف العرش من حوله وتسـبح اللـه لا تمـل ولا تكـل من ذلـك، كمـا قـال تعـالى: {وَتَـرَى الْمَلَائِكَـةَ حَـافِّينَ مِنْ حَـوْلِ الْعَـرْشِ يُسَـبِّحُونَ بِحَمْدِ

رَبِّهِمْ..} (75) سورة الزمر.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب بالحديث الصحيح المشهور المروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) متفق عليه.

وروى الإمام أحمد وغيره في عظم العرش وحملته حديثاً عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: (بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض. ثم فوق ذلك ثمانية أوعال، بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله فوق ذلك، ليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء.)1

والعرش أعلى المخلوقات، وتحته جنة الفردوس، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد حث الناس على سؤال الله جنة الفردوس التي فوقها عرش الرحمن سبحانه، كما في البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةَ).

يروى "وفوقَه" بالنصب على الظرفية، وبالرفع على الابتداء، أي: وسقفه.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية: "والعرش في اللغة: عبارة عن السرير الذي للملك، كما قال تعالى عن بلقيس: {وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ}، وليس هو فلكاً، ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، فهو: سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات. فمن شعر أمية بن أبي الصلت:

مجِّدوا الله فهو للمجد أهل ... ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالبناء العالي الذي بهر النا ... س وسوى فوق السماء سريرا

شرجعاً لا يناله بصر العـ ... ين ترى حوله الملائك صورا

الصـور هنا: جمـع "أصـور"، وهو: المائـل العنـق لنظـره إلى العلو. والشرجع: هو العالي المـنيف. والسـرير: هـو العـرش في اللغة. ومن شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، الذي عرَّض بـه عن القـراءة لامرأته حين اتهمته بجاريته:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طافٍ ... وفوق العرش رب العالمينا

وتحملـه ملائكـة شداد ... ملائكـة الإله مسومينا

ذكره ابن عبد البر وغيره من الأئمة. وروى أبو داود عن النبي صـلى الله عليه وسلم أنه قال: (أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة اللـه عز وجل من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام)[2]. ورواه ابن أبي حاتم ولفظه: (تخفق الطير سبعمائة عام).

وأما من حـرف كلام اللـه، وجعـل العـرش عبـارة عن الملـك، كيـف يصـنع بقولـه تعـالى: {وَيَحْمِـلُ عَـرْشَ رَبِّكَ فَـوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَـةٌ}؟ وقوله: {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ}. أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانيـة؟ وكان ملكه على الماء؟ ويكون موسى عليه السلام آخـذا من قـوائم الملك؟! هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول؟!"[3]

فهذا كلام عن عظمة عرش الله تعـالى الـذي هـو أكـبر المخلوقـات وأعظمها وأعلاها، ولهذا أكـثر اللـه من ذكـره في القـرآن لعظمتـه ولعظمـة من خلقـه سـبحانه وتعـالى، ويكفي المـؤمن أن يـؤمن بظواهر الآيـات كمـا جـاءت وكمـا أثبتهـا السـلف، ولا يـترك للعقـل الخـوض في ذلـك فإنـه الضـلال البعيـد، ولقـد ضـل أقـوام حكمـوا عقولهم في الجوانب الغيبية فأولوا وحرفوا بعدما تصوروا التشـبيه بـالخلق. والمـؤمن يـؤمن بمـا جـاء عن اللـه ورسـوله بفهم السـلف الصالح -رضي الله عنهم-، ويعلم أن العبد ضـعيف وهـو جـرم صـغير في هذا الكون الفسيح فما ظهر له من العلم شيء يسير مما خفي عليه، كما قـال تعـالى: {..وَمَـا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً} (85) ـ سـورة الإسراء.

ربنا ألهمنا رشدنا وقنا شرور أنفسـنا، وجنبـا الفتن مـا ظهـر منهـا وما بطن، وزدنا إيماناً وهدى وثبتنـا على مـا يرضـيك، وصـلِّ وسـلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

---

1 قال أحمد شاكر في تحقيـق العقيـدة الطحاويـة (2/ـ 171): ـ "حـديث الأوعـال هـذا، رواه الإمام أحمد في المسند، بإسنادين ضعيفين : 1770 ، 1771 . ولكن رواه أبو داود والترمذي والحاكم في المستدرك، بأسانيد صحاح، كما بينا ذلك في شرح المسند". والحـديث ضـعفه الألباني في مواضع عديدة من كتبه.

2 رواه أبو داود وغيره وهو حديث صحيح، انظر السلسلة الصحيحة للألباني: (151).

3 (173-172 /2) **شرح العقيدة الطحاوية.**